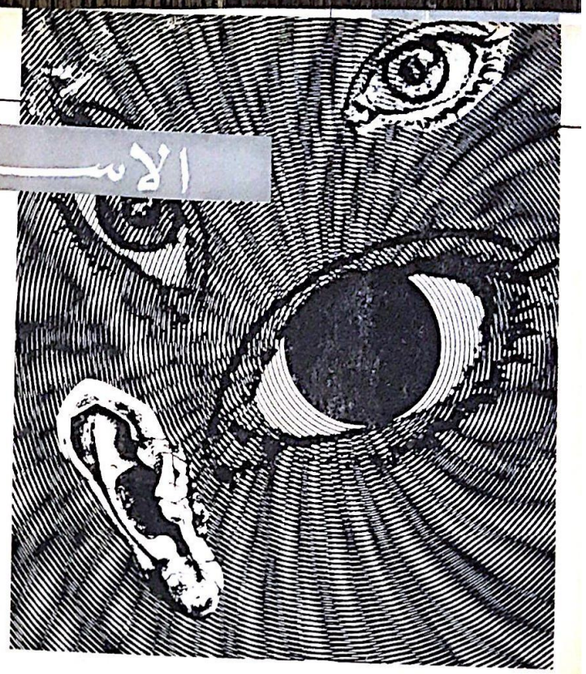

الاستخبارات ومصادر معلوماتها

التحقيق ومهمّات المحقّق

هذه هي الحلقة الثانية من الدراسة التي اعدتها « الهدف » وتقدمها حول الاستخبارات كسلاح ، وحول الامن في الثورة .. في الحلقة الماضية جرى عرض اهمية الاستخبارات كقاعدة مهمة في الحرب الشعبية ، اما في هذه الحلقة فيدور البحث حول المصادر التي تستقى منها معلومات الاستخبارات ، وكيفية ذلك !

« الهدف »

سوف نتطرق فيما يلي الى بعض المصادر الاساسية للاستخبارات التي سنبدو اهميتها من خلال تحديدها وبحث عملها .

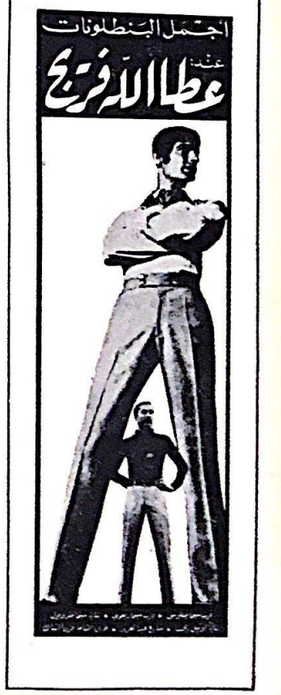

١ ـ التصوير :

ويعتبر هذا المصدر من المصادر الكبرى التي تطورت وما زالت تحتفظ باهميتها الكبرى في هذا المجال ، فمن التصوير العادي بالآلات العادية الى الآلات المتطورة صغيرة الحجم او حسنة الاخفاء ، الى الاجهزة الاكثر تطورا التي تحملها الطائرات بالغة الارتفاع ثم الاجرام الصناعية الى اخر ما يستجد في كل يوم من وسائل واجهزة تستطيع نقل الصور والمعلومات بدقة متناهية .

هذا المصدر بالاضافة الى ما يمكن تامينه من معلومات عن كل التحركات العسكرية او التجمعات ، يستطيع كذلك الى ما يمكن تامينه من معلومات بعيدة المدى ، كالمساحات الزراعية او المصانع الناشئة وخلاف ذلك مما له اهمية على المدى الطويل . وفيما يختص بالدول ، تحاول الدولة حماية اجوائها من انواع الطائرات التي تقوم بهذه الاعمال واستعمال التمويه لاخفاء ما تشاء اخفاءه وفيما يختص بقوى العصابات يتوجب الاهتمام بهذه الناحية سواء بالتمويه او بسرعة الانتقال او اصطناع القواعد او وضع قواعد وقوات قليلة العدد سريعة الانتقال مكشوفة بمثابة الفخاخ لحماية القواعد الرئيسية المعول عليها وحسن اخفاء هذه القواعد اخفاء جيدا .

كل منا شاهد الصور التي تلتقطها الاجرام الصناعية ومدى دقتها وما زالت قصة الصواريخ المصرية على القناة قبل وقف اطلاق النار شاهدا على سرعة ودقة واهمية عمل مصدر التصوير الذي نتحدث عنه .

٢ ـ التحقيق مع اسرى الحرب :

وهذا هو المصدر الثاني القيم ، يعتبر شكل التحقيق فنا بحد ذاته ، وهو يعتمد على طرق عدة الا ان افضلها يبقى اسلوب التأثير النفسي الذكي والذي يعتبر حضاريا متمدنا بعكس استعمال وسائل التعذيب الجسدي ، ويعتمد الاسلوب الاول اي النفسي على براعة وذكاء وسعة اطلاع المحقق ، فلو استطاع المحقق اقناع الاسير بسعة اطلاعه عن قيادة الاسير ونوع الاسلحة المستعملة وضباطه واتصالاته والمعلومات الاخرى المتعلقة بمعسكره ، لاستطاع دفع الاسير الى حافة اليأس وساعد على انهياره .

ومن البديهي ان موقف المحقق هذا يجب ان يسبقه اطلاعه على تقارير الاستخبارات الاخرى التي تتعلق بهذه المعلومات المطلوبة . ومع ان الرأي الشائع بأن افضل وقت لاستجواب الاسير هو راسا بعد اعتقاله الا ان ذلك هو رأي خاطىء اذ ان معلوماته آنذاك تكون مضعضعة وغيردقيقة. وانه من المهم ان يكون المحقق متخصصا لا هاويا غير كفء . ونود ان نورد فيما يلي بعض القواعد المستعملة في التحقيق ، علها تلقي ضوءا على هذه المهمة ، برغم القناعة من ان لكل حالة قاعدتها وان على المحقق ان يكون واسع الاطلاع ذكيا لبقا .

مبادىء عامه

ا ـ ا ـ الاستجواب الاول لاي اسير معتقل حديثا يجب ان لا يكون بشكل استجواب واخذ معلومات مهمة او اعتراف بمهمة تصريح او معلومات بل يجب ان يكون عاما على ان لا يظهر على المحقق اي شك بالمعلومات المقدمة من الاسير ولا اي رد فعل على المعلومات المصرح بها لا بالشك ولا بالاعجاب ، وعدم اظهار اي مشاعر مهما كانت.

ب ـ يجب تشجيع الاسير على الكذب والمبالغة على ان لا يشير المحقق لاي تضارب بأقوال الاسير .

ج ـ اذا كان الاسير فردا من مجموعة من الاسرى يجب عدم الاشارة في الاستجواب الاول الى التضارب بين اقواله وافادات الاسرى الاخرين .

د ـ على المحقق اظهار القبول بافادة الاسير الاولية مهما كان يكتنفها الشك وذلك دون تردد ودون ابداء اية ملاحظة من اي نوع بحيث لا يشعر الاسير ان المحقق يشك بافادته ومن ثم يأخذ حذره .

هـ ـ اذا شعر المحقق لدى انتهاء الاستجواب بصحة الافادة ، وان الاسير هو اسير عادي ، تبدأ حينذاك عملية الاستجواب المجابهة فيسأل والكاذبة التي يرويها له الاسير والتي تبدو كانها صحيحة فمثلا يسأل المحقق الاسير عن مبلغ كبير من المال وجد في حوزته رغم ادعائه بانه كان عاطلا عن العمل فيجيب الاسير مثلا بانه اذخره وحين يجابه بحقيقة انه كان عاطلا يقول بأنه سرقه من بيت الذين آووه وكل هذه القصص فيما هي لتضليل المحقق عن الرواية الحقيقية .

د ـ على المحقق ان يشك بكل اسير مهما بدت حجته قوية واقعية وقابلة للتصديق ، وهناك كثير من القصص التي تثبت فائدة وضرورة هذا الوضع وانه لولا شك المحقق وبعد نظره ودقة ملاحظته لبرئت ساحة الاسير بالرغم من خطورته.

■ ٣ ـ الوثائق المستولى عليها :

وللوثائق اهمية كبرى كمصدر رئيسي للمعلومات تلك الوثائق التي تكون محفوظة او منقولة في البواخر او الطائرات او الاليات والتي تحتوي على خطط حربية او رموز شيفرة او خلافه مما يساعد في الكشف على خطط العدو واسراره والامثلة على ذلك اكثر من ان يحصيها احد .

٤ ـ مواد طوبوغرافية من جميع الانواع :

خرائط او وثائق او معلومات تفيد في اعطاء رأيه في ذلك واعطاء تفسيرات منطقية للمعلومات المستقاة مع الوصية باعادة استجواب المحقق .

٢ ـ الاستجواب الثاني :

الثاني ان يقوم بدراسة التقرير الاول بعمق وشمول واعيا للاراء الواردة بوكذلك الاقتراحات غير متأثر بها متجردا قدر الامكان مهتما بكل التفاصيل مهما كانت تافهة اذ ربما كانت هذه التفاصيل لم تثر اهتمام المحقق الاول فلم يتوسع بها لا تحقيقا ولا تقريرا ثم تكون هذه التوالسة هي اهم ما يجب العناية به والتوسع في تحقيقه فيه .

ب ـ من المفيد ان يبدو المحقق كمن فقد اعصابه وان يكون ذلك بشكل متعمد اذ عليه ان لا يفقد اعصابه فعليا ابدا ، وعليه استجواب الاسير بشكل مكثف وليس بطريقة تدريجية مع مفاجأة الاسير بالاسئلة وتضمين هذه الاسئلة معلومات تفاجؤه اذ ان مفاجأة الاسير هي كالكمين بالنسبة للجندي . كما يجب ان تطرح الاسئلة بشكل معلومات معروفة مفروغ منها انها السؤال يتعلق بتفاصيل جانبية فمثلا اذا كان المفروض سؤاله عن علاقته بسفارة ما لا يقال له هل زرت السفارة الفلانية ؟ بل يسأل : ما هو اخر تاريخ لزيارتك للسفارة الفلانية ؟ ويطرح موضوع كهذا بشكل مفاجىء لا علاقة له بتسلسل التحقيق وبراقب المحقق رد فعل الاسير النفسي والجسدي كملاحظة اثر ذلك في وجهه وعينيه وحركة غدته (تفاحة آدم في رقبته) صعودا وهبوطا وحركة جفنيه ورموشه .

وفي حال الحاجة الى الاستفسار عن عدة نقاط او مواضيع يستحسن القفز بينها وقطع الحديث عن بعضها والاستطراد الى غيرها ومفاجأة الاسير كل حين بسؤال يختلف عن السابق لقطع الفرصة عليه في تنظيم افادته ووضعه في اوضى ذهنية نضعف مقاومته وتساعد على استدراج الحقائق من افادته .

ح ـ وبما ان على المحقق دراسة نفسية اسيره بصورة شاملة عليه الحذر من القصص الملفقة والكاذبة التي يرويها له الاسير والتي تبدو كانها صحيحة فمثلا يسأل المحقق الاسير عن مبلغ كبير من المال وجد في حوزته رغم ادعائه بانه كان عاطلا عن العمل فيجيب الاسير مثلا بانه اذخره وحين يجابه بحقيقة انه كان عاطلا يقول بأنه سرقه من بيت الذين آووه وكل هذه القصص فيما هي لتضليل المحقق عن الرواية الحقيقية .

د ـ على المحقق ان يشك بكل اسير مهما بدت حجته قوية واقعية وقابلة للتصديق ، وهناك كثير من القصص التي تثبت فائدة وضرورة هذا الوضع وانه لولا شك المحقق وبعد نظره ودقة ملاحظته لبرئت ساحة الاسير بالرغم من خطورته.

■ ٣ ـ الوثائق المستولى عليها :

وللوثائق اهمية كبرى كمصدر رئيسي للمعلومات تلك الوثائق التي تكون محفوظة او منقولة في البواخر او الطائرات او الاليات والتي تحتوي على خطط حربية او رموز شيفرة او خلافه مما يساعد في الكشف على خطط العدو واسراره والامثلة على ذلك اكثر من ان يحصيها احد .

٤ ـ مواد طوبوغرافية من جميع الانواع :

خرائط او وثائق او معلومات تفيد في اعطاء

معلومات جغرافية للجبال والسهول والانهر والبحيرات والاجواء وحالات الطقس والتنوءات الجوية في البحر ونوع التربة والمستنقعات وغيرها ذلك . كل هذه المعلومات تعطي ضوءا يهتدي العمل لا بد من توافره .

والى بعد ذلك مهمة مراكز التجميع العليا التي تتلقى المعلومات كل من مصدره فتاخذ في تبويبها وتوبيبها واعادة صياغتها وتقديمها ، كل حسب وجهه المختص والى من تحتاجه طبيعة العمل ، وذلك بعد ان تتكامل الصورة لدى هذه المراكز فتحاول بها كل ما يمكن ان يصل من معلومات مستحدثة يمكن ان تضاف الى الصورة. وكلما تقدم علم الاستخبارات كلما ازداد اعتماده على التقنيين الاذكياء واسعي الادراك الذين لا يفقد اعصابه فعليا ابدا ، وعليه استجواب الاسير بشكل مكثف وليس بطريقة تدريجية بالنسبة للجندي . كما يجب ان تطرح الاسئلة بشكل معلومات معروفة مفروغ منها انها السؤال يتعلق بتفاصيل جانبية فمثلا اذا كان المفروض سؤاله عن علاقته بسفارة ما لا يقال له هل زرت السفارة الفلانية ؟ بل يسأل : ما هو اخر تاريخ لزيارتك للسفارة الفلانية ؟ ويطرح موضوع كهذا بشكل مفاجىء لا علاقة له بتسلسل التحقيق ويراقب المحقق رد فعل الاسير النفسي والجسدي كملاحظة اثر ذلك في وجهه وعينيه وحركة غدته (تفاحة آدم في رقبته) صعودا وهبوطا وحركة جفنيه ورموشه .

وفي حال الحاجة الى الاستفسار عن عدة نقاط او مواضيع يستحسن القفز بينها وقطع الحديث عن بعضها والاستطراد الى غيرها ومفاجأة الاسير كل حين بسؤال يختلف عن السابق لقطع الفرصة عليه في تنظيم افادته ووضعه في اوضى ذهنية نضعف مقاومته وتساعد على استدراج الحقائق من افادته .

ح ـ وبما ان على المحقق دراسة نفسية اسيره بصورة شاملة عليه الحذر من القصص الملفقة والكاذبة التي يرويها له الاسير والتي تبدو كانها صحيحة فمثلا يسأل المحقق الاسير عن مبلغ كبير من المال وجد في حوزته رغم ادعائه بانه كان عاطلا عن العمل فيجيب الاسير مثلا بانه اذخره وحين يجابه بحقيقة انه كان عاطلا يقول بأنه سرقه من بيت الذين آووه وكل هذه القصص فيما هي لتضليل المحقق عن الرواية الحقيقية .

■ ٣ ـ الصحافة :

وهنا مصدر ياتي في الاهمية بعد المصادر السابقة نظرا لانه قد يعطي نتائج سلبية او ايجابية واهمية تختلف ايام الحرب عنها ايام السلم غالبا ما تكون الصحافة تحت اشراف خبراء في الاستخبارات لاغفال ذكر المعلومات التي يجب ان تكتنفها السرية . وكذلك يمكن من الاطلاع على صحافة العدو اكتشاف معلومات مفيدة او الافادة منها في التأكد من المعلومات المتواجدة لدى دوائر الاستخبارات .

كذلك يمكن الافادة من الصحافة باستغلال الانباء المقدمة لها في رفع المعنويات ، واذكاء روح البطولة او المقاومة لدى الشعب وتثبيط معنويات العدو فيما دون التطرف في المبالغة وجعل الشعب يزهم وقوفه على حائط صلب بينما هو يسبح في الهواء ...

فالالمان مثلا ابان الحرب العالمية الثانية كانوا يزودون بنشر انباء انتصاراتهم ويحيطونها بهالات كبيرة من الغموض ويحتفلون بعودة القادة ناشرين صورهم ذاكرين البطولات التي قاموا بها من اجمال للمواصفات معادية او غيرها من الاعمال العربية . وفي الوقت الذي كانت المخابرات البريطانية تستفيد من هذه المعلومات بمقارنتها ما لديها من معلومات عن حوادث معينة للتأكد من صحة تقاريرها ومعلوماتها فقد كانت تعمد من ناحيتها لعدم نشر اخبار تفصيلية من هذا النوع عن عمد بالرغم من تعرضها للنقد الشديد، لقد كانت تعتبر اية تصريحات او معلومات من هذا النوع في بمثابة معلومات مفيدة للعدو بدرجة(ا) لم تكن البحرية البريطانية تقوم بنشر اخبار من هذا النوع الا بعد مضي وقت طويل وتأكدها من ان نشر هذه المعلومات لا يمكن ان نفيد العدو باي شيء .

كثيرا ما ترد في الصحف اخبار يبدو انها دون اهمية ثم يظهر بعد حين ان هذه الاخبار كانت على درجة كبيرة من الاهمية ، كما ان الدارس المحقق يستطيع ان يستنتج مما ينشر في الصحف ما يمكن ان يكون مفيدا من المعلومات . حدث مرة ان قام احد الهواة بجمع معلومات عن اعداد العدات والقطع الحربية التي كانت تصل لكل من اسرائيل والدول العربية وذلك مما كان ينشر عن الصفقات المختلفة والتي كانت تتم بسرية تامة واعتمد اخبارها على معلومات غير دقيقة . ثم قام هذا الهاوي بتقديم احصاءاته لاحدى الصحف اللبنانية التي نشرته بتحفظ ولشد ما كانت دهشة جميع من كان لهم صلة بهذا العمل مدى دقة الاحصاءات وقربها من الحقيقة بعد حرب ١٩٦٧ ونشر ما كان لدى كل قوة من العتاد .

وكثيرا ما كانت الصحافة والاذاعة اداة هامة ذات فوائد باهرة حين يحسن استخدامها ، كما كانت احيانا دليل غباء مطلق في الوقت الذي كان يعتقد مستخدموها انهم يرهبون باخبارهم من معنويات شعوبهم . ومن تجاربنا الظاهرة للعيان الحملات الاعلامية التي تستخدمها اسرائيل قبل كل صفقة سلاح تطلبها بنشرها اخبار المساعدات السوفياتية للعرب وغالبا ما تكون اخبارا مبالغا فيها ونلقي بها الى الصحف ووكالات الانباء وتتلقفها وسائل اعلامنا « الذكية » وناخذ في تكرار اعلانها ، كما اننا لا ننسى في حرب ٦٧ كيف كانت الاذاعات العربية والصحف تتسابق في اعلان اماكن وصول القوات العربية «النجدات» والتي كانت اسرائيل لا تجد كبير عناء في تحديد اماكنها والاغارة عليها في ارضها ..

وبمناسبة الحديث عن الصحافة والاعلام يحضرنا مثل اخر على غباء الكثير من الصحافة والاعلام العربيين : كلنا يعرف مدى الضجة التي قامت في العالم اثر خطف الطائرات الاجنبية ونسفها في مطار الثورة كما نعرف مدى الجنون المسعور الذي شنته اسرائيل والصحافة الغربية من ورائها ضد هذا العمل وكلنا قرأ الصحف العربية في تلك الفترة ولاحظ ما تسابقت عليه من التبرؤ من مثل هذه الاعمال ومن انتقادات لها وتهجم عليها . بعد ذلك بفترة شهور قام بعض اليهود السوفيات بمحاولة اختطاف طائرة سوفياتية وفشلت المحاولة وقدم الخاطفون للمحاكمة واخذت الصحف الغربية بمحاولة الدفاع عن المحاولة والتهجم على المحكمة والاتحاد السوفياتي وكل منا يستطيع ان يفسر موقف صحف الغرب ، ولكن اي مبرر يوجد للصحف العربية في النشر اليومي للمحاكمة من وجهة نظر التائر الصهيوني وكل هذا الاهتمام الذي جعل احدى الاذاعات العربية تكرر في اليوم الواحد انباء المحاكمة لاكثر من خمس مرات.

٦ ـ هناك مصدر اخر لنشاط الاستخبارات هو نظام الملحقين بالسفارات ويعتبر هذا النظام من مخلفات قواعد واصول الدبلوماسية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . فقد عين اول ملحق عسكري من قبل بروسيا في باريس بعد حروب نابليون وبالرغم من انه لا يعرف اساس هذا النظام الا انه اصبح الان نظاما مقبولا وحديثا ومتطورا ومحتملا للتجسس في جميع عواصم العالم فنجد مثلا في كل عاصمة عددا ضخما من الملحقين يتلخص عملهم ببساطة بمحاولة معرفة ما يخبئه عنهم البلد المضيف اي بكل وضوح بالتجسس عن طريق الحفلات ومحاولات التغرير بضعاف النفوس والذين يشغلون مراكز حساسة وكثيرا ما يكون الاتصال بين هؤلاء عن طريق رسمي. وهذا اسلوب فانوني للتجسس له حمايته وحصانته ولا يقع تحت طائلة التحقيق الا اذا حدث اي خطأ في مجرى العمل .

اتخاذ القرارات

اول نقطة في اتخاذ القرارات هي في العلاقة بين رجل الاستخبارات والمسؤول سواء كان هذا المسؤول قائدا عسكريا او سياسيا ، فرجل الاستخبارات يضطلع بمهمة صعبة جدا وعلاقته بالقائد او المسؤول يجب ان تكون علاقة ثقة واحترام ، والا فانه يجابه صعوبات جمة في مهمته . وبما ان رجل الاستخبارات هو مصدر الاخبار عن الصورة والوضع الحقيقي فان مهمته بالتالي هي مهمة صعبة ، فان اقناع قائد اصبح مستغرقا في التخطيط لعملية ما او في تنفيذها – اقناعه بضرورة نسف خطته او تغييرها على ضوء معلومات تفرز الوضع – هي بالفعل مهمة صعبة تحتاج لكثير من حسن التصرف . فالقائد حينذاك يكره المراجعة والتأجيل او تغيير الخطة التي لا شك ناقش وتفتح بجدواها ، واخذ في تطبيقها ويصبح حينذاك حساسا لكل ما يمكن ان يقف عثرة في سبيل تنفيذ خطه ، كذلك شكاكا ، وعلى رجل الاستخبارات اقناعه مثلا بان العملية غير ضرورية لانتفاء هدفها ، او ان توقيتها خاطىء ، او ان وضع العدو قد اختلف او غير ذلك من تغير الصورة فكلما كانت الثقة كبيرة وقوية بين القائد ورجل الاستخبارات ، كانت مهمة هذا الاخير اسهل ، وعليه ان يكون موضع ثقة واحترام القائد ليكون مرجعا له للاستشارة، وفي الوقت الذي يجب على رجل الاستخبارات تقديم مشورته بشكل لا تنفر منه القائد عليه ان لا يقع في فخ محاولة ارضائه بتقديمه للقائد المعلومات والاخبار التي يحب سماعها فقط وتجنب انبائه بما يزعجه فالتقارير والمشورات يجب ان تكون واقعية مهما كان فيها ، برغم من ان وسيلة تقديمها يجب ان تكون محببة ولطيفة . كذلك عليه حسن تقدير الاوضاع حسب وضعها وعدم المبالغة بها او المغالطة او سوء التقدير .

كما أن على رجل الاستخبارات عدم الاعتماد على مصدر واحد للمعلومات مهما كان هذا المصدر موثوقا اذ انه يصبح عرضة للضياع في حال فقدان هذا المصدر، كذلك على القائد ان يتجنب الهواجس التي قد تستبد به نتيجة للانتصارات او الهزائم التي قد تلحق به اذ ان دافع اليأس احيانا او الشعور بالعجز بدفعه للقيام بعمليات يائسة لا تعود عليه الا بالخسارة مع انه يكون متأكدا سلفا من تحصين المواقع المهاجمة او من ضعف قواته المغيرة فذلك كمقامرة الخاسر.

■ في العدد القادم :

* محاربة الاستخبارات للحرب والثورات المعادية « الشعبية »

قريبا
الماركسية والسلاح التنظيمي
(تجربة الثورة الفيتنامية)
نشر "الهدف"
و"دار العودة" بيروت